

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

الندوة العلمية: **طوفان الأقصى في الشعر الجزائري**

يوم 09 شعبان 1445هـ الموافق لـ 19 فيفري 2024

المحور الأول: تجليات طوفان الأقصى في الشعر الجزائري الفصيح.

عنوان المداخلة:

تجليات خطاب المقاومة في الشعر الشعبي الجزائري-نماذج مختارة.

د. سعاد بوقطاية

ملخص:

أضحى طوفان الأقصى فضاء رحبا للإبداع الشعري مما مكن العديد من الشعراء خاصة الشعراء الشعبيين الجزائريين من مواكبة أحداثه، ومسايرة تطوراته، ورصد خطاباته فجادت قرائحهم بإبداع شعري صادق نابع من وعي واسع وإحساس عميق ومشاعر فيّاضة، فصوّروا معاناة أهل غزة وأشادوا بصمودها وتغنوا بمقاومتها منبهرين بانتصارات أبطالها، مشدودين إلى خطاباتهم التي أمسّت جرعة أمل وشحنة عزيمة ومصدر ثقة، ومنبر فخر.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تجليات خطاب المقاومة في شعر طوفان الأقصى من خلال نماذج من الشعر الشعبي الجزائري، محاولين الوقوف عند أهم أشكاله منطلقين من الأسئلة الآتية:

- إلى أي مدى أثر طوفان الأقصى في الشعراء الشعبيين الجزائريين؟
- وماهي أهم المواضيع التي استرعت اهتمامهم في ملحمة طوفان الأقصى؟ .
- ما تأثير خطاب مقاومة طوفان الأقصى على الشعراء الشعبيين الجزائريين؟ وماهي تجلياته في أشعاره؟

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المقاومة، الشعر الشعبي، طوفان الأقصى.

Abstract :

Al-Aqsa Strom has become a welcoming space for poetic creativity, enabling many poets, especially Algerian folk poets, to keep abreast of its events. and to keep pace with his developments, and to monitor his speeches, I found their smells with a sincere poetry creation that stemmed from a broad awareness, a deep sense and feelings of sport. They depicted the suffering of the people of Gaza, praised its steadfastness and sang its resistance, impressed by the triumphs of its heroes, Heightened to their speeches that touched a dose of hope, a shipment of determination, a source of trust, and a platform of pride.

This study seeks to reveal the manifestations of resistance discourse in the poetry of Al-Aqsa Delphan through models of Algerian popular poetry, trying to stand at the most important forms of it based on the following questions:

- To what extent has the Aqsa deluge affected Algerian people's poets?
- What were the most important subjects that drew their attention in the Aqsa Deluge saga?
- What is the impact of Al-Aqsa's resistance speech on Algerian folk poets? And what are his manifestations in his poetry?

Keywords: speech, resistance, folk poetry, Al-Aqsa Strom

مقدمة:

المقاومة هي انتفاضة في وجه العدو الغاشم الذي يستعبد الشعوب ويحاول طمس هويتها وتاريخها، وإهدار كرامتها وإنسانيتها، وهي لا تقوم إلا في أمة ماجدة متمسكة بدينها ومقومات شخصيتها، تستمد قوتها من رجالها ونسائها، شيوخها وشبابها، وهو حال الأمة الفلسطينية التي تعطينا اليوم أروع الأمثلة في الثبات والصمود بفضل أبنائها الشرفاء الذين يتوقون إلى الحرية والانعقاد من الاستعباد مؤمنين بخيارين لا ثالث لهما، فإمّا حياة كفاح وجهاد أو موت واستشهاد، فالمقاومة في معناها الواسع >> مقاومة على صعيد الرفض، وعلى صعيد التمسك الصلب بالجذور والمواقف<<¹.

وحد "طوفان" الأقصى" الفلسطينيين على قلب رجل واحد، على الرغم من المعاناة والدمار إلا أن لسان حالهم "لن نركع"، "لن نرحل"، "فنحن باقون هنا"، كان هذا لسان شعب ذاق الظلم والقهر وعاش سنوات من الدّل واليأس نتيجة التهجير والحصار والأسر، لكنه ما استكان وما وهن بل هبّ لنصرة الوطن ورفع

¹ - غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)، مؤسسة الدراسات

الذّل عن الأمة، فالى جانب المقاومة العسكرية والسياسية التي قادتها مختلف الفصائل الفلسطينية، والتي دكّت معاقل العدو وكسرت شوكته، كانت هناك مقاومة إعلامية قاد زمامها صحفيون ومراسلون فلسطينيون أخذوا على عاتقهم مهمة تنوير الشارع العربي والغربي بما يحدث على أرض الواقع، فاضحين جرائم المحتل الصهيوني ذاهبين أبعد من ذلك مضحين بأنفسهم وعائلاتهم في سبيل أوطانهم، وإلى جانب ذلك تحضر مقاومة شعبية خاض غمارها أطفال ونساء وشيوخ، فبالرغم من وأد العدو لكل مقومات الحياة في غزة إلا أن أهلها مازالوا يقاومون الجوع والبرد والمرض، صامدون صمود الجبال صمود أسطوري استثنائي بلغ حدًا اللامعقول، ومن هنا فإن مقاومة الشعب الفلسطيني قد اتخذت طرقا شتى شاركت فيها كل شرائح المجتمع وهذا ما ضمن استمرارها وتجديدها في كل مرة، وهنا يحضرنى قول الرئيس الفلسطيني الراحل "ياسر عرفات": >> **إن الثورة ليست بندقية نائر فحسب، بل هي معول فلاح ومشرط طبيب وقلم كاتب وريشة فنان** <<.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن تكون تطبيقية محضة تتقصى تلقي خطاب المقاومة وتجلياته في نماذج مرتجلة لشعراء شعبيين جزائريين عمدوا إلى تعميق هذه التجربة الفريدة من نوعها سواء على مستوى الملتقيات الوطنية والدولية أو على مستويات وسائل التواصل الاجتماعي.

تجليات خطاب "طوفان الأقصى" في الشعر الشعبي الجزائري:

واكب الشعر الشعبي الجزائري قضايا التحرر بدء بالثورة الجزائرية التي كان سندا قويا لها وصولا إلى القضية الفلسطينية وطوفان الأقصى، حيث انبرى العديد من الشعراء منذ الأيام الأولى لهذه الملحمة البطولية الكبرى لنصرة غزة وأهلها وتخليد صمودها وتقدير تضحياتها، بقلوب يمزقها الألم والوجع تارة ويغمرها الفخر والكبرياء تارة أخرى، فما هو الشاعر "جمال جيلالي" يصور الحزن الكبير الذي

يكتمه في قلبه على غزة ولكن دمه فضحه ،فلا سبيل لتجاوزه إلا الدعاء ،ولا عزاء له إلا الانتشاء بيوم الطوفان، حيث يقول في قصيدة بعنوان " طوفان الأقصى":

وهديتك يا عقل هايم وسط هواك	لميتك لوراق ريشة ودوايا
حسيتك يا قلب تاغب مقواك	خبيتك يا حزن في دمع بكايا
نتوسل لله ربي يتولاك	هزيتك يا عين شوفي لسمايا
ماضمدش الدمع جرحك ما دواك	ها غزة نبكيك وابكيو معايا
فرحتنا بنهار كنا نستناك	ها غزة الطوفان رجع لمنايا
سبحانو هو القادر طول معاك ²	يا أقصى منصور نصرك مولايا

ونجد الشاعر الشعبي "محمد مجدوب" يعتزّ بالسابع من أكتوبر ويضفي عليه خير السمات واصفا إيّاه بالطوفان الذي أتى بالنصر لشعب عظيم يستحق الحياة رغم المآسي التي عاشها، إذ يقول على لسان الشعب الفلسطيني في قصيدة بعنوان "وطن التحدي":

سنبقى بذورا ليحي الأباة	على أرضنا نستحق الحياة
فلسطين قدس المنى والثبات	تدور المآسي بشعب عظيم
ونشكوا عداء عسير الجناة	مضينا عقودا نواري حجودا
لتبدي حماس بليغ الصفات	إلى غزة مثل طوفان بحر
بأكتوبر السبت خير الصفات ³	فتفشي على سابع الصبح نصرا

لطالما كان الشعر الشعبي الجزائري جذوة تلهب المشاعر وتزرع الحماس وتغرس الصمود في النفوس، وقد رافق ملحمة "طوفان الأقصى" لحظة بلحظة، إذ

² - جمال جيلالي: طوفان الأقصى ،الملتقى الدولي الثامن للأدب الشعبي(الشعر الشعبي ودوره في دعم قضايا المقاومة وقضايا التحرر)،(17-19)ديسمبر 2023م،الجزائر العاصمة.

³ - محمد مجدوب: وطن التحدي، موقعبتاريخ، زيارة يوم 14جانفي 2024م.

أخذ على عاتقه مهمة دعم القضية ومساندة شعبها وتخليد أبطالها وتمجيد انتصاراتهم، مستجليا تفاصيلها متتبعا خطاباتها العسكرية والإعلامية والشعبية، وقد آثرنا الوقوف عند هذه الخطابات وكشف مدى تفاعل الشاعر الشعبي الجزائري معها.

1- خطاب المقاومة العسكرية:

أعاد "طوفان الأقصى" للأمة العربية ولشعوب العالم وعيها الذي ظل مغيبا تغييبا ممنهجا لسنوات طويلة، إذ حرر العالم كله من الغفلة وأزاح عنه غشاوة الجهل والتضليل، فعادت فلسطين إلى الواجهة وانتفضت الشعوب من أجلها وصدحت الحناجر في كل مكان بـ "الحرية الحرية لفلسطين"، وقد لعب خطاب مقاومتها على لسان ناطقها الرسمي المثلث " أبو عبيدة " دورا كبيرا في كشف حقيقة المحتل الغاشم وزيف أقواله وصدق نضال المقاومة وثباتها على الحق ، فأبان للعالم انكسار أسطورة الجيش الذي لا يقهر من خلال نشر خسائره الفادحة في الأرواح والمعدات، ودجج خطاباته برسائل التهديد والوعيد التي بثت الفرع والرعب في نفوس أعدائه، في حين أرسل بشائر النصر لأبناء بلده ولأشقائه العرب الأوفياء ولأحرار العالم، مثلجا صدورهم محيي الأمل في نفوسهم بقدرة المقاومة على الصمود وتحقيق النصر، كل ذلك بأسلوب سلس قائم على إيجاز العبارة، ودقة المعنى وحسن البيان وهو ما شدّ إليه الأسماع، و اهتز له الوجدان، ونظمت حوله القصائد، ويمكننا أن نمثل لذلك بهذا المقطع الشعري الشعبي الذي أشاد فيه الشاعر " شويخ بوراس" بنخوة " أبو عبيدة" ورجال القسام الذين أذاقوا العدو مرارة الدّل في السابع من أكتوبر، فحق لهم أن يرفعوا رؤوسهم عاليا وحق لغزة أن تفخر بهم فهم عادوا من بعيد وأحيوا الأمة من جديد ،حيث يقول:

وحق المومن ديما يطلب جارو

يا غزة هزي العينين من الراس

كل طفل من صرختو شعلت نارو

يا غزة مازال حمزة والعباس

أبوعبيدة وقسامو

ياغزة مازالت النخوة لباس

سارو

حقارة تاريخهم بيه

أنا بيا العدو تقصص لباس

صغارو⁴

ويطالعنا الشاعر "بن سالم دحمان الأحمدي" بقصيدة جميلة غنية بفائض من المعاني والدلالات التي تثبت في قارئها فائضا من العزة والفخر بصنيع هؤلاء الرجال الذين فضلوا حياة الجهاد والاستشهاد على حياة الذل والخضوع، متيقنين بأن النصر بيد الله وحده، وأن الموت شهادة يصطفي الله بها من يشاء من عباده المؤمنين وفي مقدمة هؤلاء المثلث "أبو عبيدة"، الذي زادتنا خطاباته فخرا بالانتماء لهذه الأمة، وعزّا بتاريخنا ولغتنا وديننا، يقول الشاعر:

وعلى صدري درتك غزة

ليك هديت حروف شعري مرقومة

وسام

وعلى خدي خطها ماهر

دمعة في وسط الجواحي مكلومة

وشام

عافت كل مطارحي سكنت

باتت غزة في ضلوعي محمومة

لعظام

هبو ليها بالشرف جنـد

صرخة من أنقاض غزة مردومة

القسام

دق الحافر تاومت منو

أبوعبيدة جات خيلو موسومة

لرحام

أبوعبيدة كي الطير عليهم

ما الأقصى طوفان داير رمرومة

حام

⁴ - شويخ بوراس: يا غزة، موقع فرسان الملحون بتاريخ 14 نوفمبر 2023م، زيارة يوم 12 جانفي 2024م.

تل أبيب وجيشها ردوه

دار عليهم من جماجمهم عرمة

حطام⁵

ويلهب الشاعر " الفوضيل محمد الأمين" مشاعرنا في قصيدة بعنوان "الطوفان"، مستحضرا أبطال طوفان الأقصى جاعلا منهم رموزا ومنارات ستطل راسخة في تاريخ مقاومة الشعوب لقوى الظلم والاستبداد، فبعد تمجيد خالق الأكوان والصلاة على النبي العدنان، يطلق الشاعر العنان لمشاعره الممزوجة بالحسرة على غزة وأهلها، المنتشية بمآثر أبطالها، الذين فرضوا واقعا جديدا على الكيان الصهيوني وعلى العالم بأسره، حيث يقول:

يا عالم بالقلب حالو وحوالو
الصادق الأمين قولو وأفعالو
بعدك غزة حروفنا قاع ذبالو
بعدك تاريخ العرب شح بطالو
وحروفو القسام كتبوه رجالو
ومحمد الضيف لي عزو مثالو
ومصبرنا على البلا وقت هبالو
رجع للأقصى العز مع دلالو⁶

باسمك نبدا يا الله خالق لكوان
صلي ربي عالنبي طه العدنان
طلق شعرك ما بقى للشعر مكان
بعدك غزة ما بقى فينا فرسان
أنا عهدي للوفا درتو عنوان
أبوعبيدة عطاك يا تاريخ الشان
ظلك يالسنوار عاطينا لامان
فصل من التاريخ عنوانو طوفان

لقد عبر الشاعر الشعبي الجزائري بكل صدق وأصالة عن صور البطولة والشجاعة التي تحلى بها أبطال المقاومة الفلسطينية، من خلال خطاباتهم القوية التي تحوي طاقات هائلة من الصمود والتحدي ورفض كل أشكال الظلم والخنوع،

⁵ - بن سالم دحمان الأحمدى : موقع.....بتاريخ.....زيارة يوم 14 جانفي 2024م.

⁶ - الفوضيل محمد الأمين: الطوفان ، موقع فرسان الملحون، 25 ديسمبر 2023م، زيارة يوم 2 جانفي 2024م.

وتؤكد الالتزام التام بما جاء به القرآن العظيم وما سنّه الرسول الكريم ممهدة الطريق أمام الإنسانية جمعاء للانفتاح على ديننا الحنيف.

2- خطاب المقاومة الإعلامية:

كان للخطاب الإعلامي الذي قادتته المقاومة وقاده عدد كبير من الصحفيين والمراسلين الفلسطينيين دور بارز في توثيق أحداث "طوفان الأقصى"، إذ استطاع أن يكشف الأكاذيب التي لفقها الإعلام الغربي وفضح المشاهد والقصاص التي فبركها قصد تشويه صورة المقاومة، ورغم محاولة الإعلام الصهيوني والغربي طمس الحقائق وتغطية جرائمه عن طريق قطع شبكات الاتصال في غزة وباقي المناطق، إلا أن المقاومة نجحت في نقل الكثير من المشاهد التي تجري في القطاع والتي أبانت عن قوة المقاومة أمام ترهل جيش العدو، ووحشية المحتل أمام إنسانية الفلسطينيين، وبالموازاة مع ذلك فقد جند صحفيون ومراسلون فلسطينيون أنفسهم لإحداث طوفان إعلامي جارف على منصات التواصل الاجتماعي وفي قنوات الأخبار، مؤمنين بأن الإعلام سلاح فتاك لا يقل تأثيره عن العمل المسلح، فهو يضع العدو في وضع لا يحسد عليه من خلال تشكيل وعي عالمي مناهض للإبادة والوحشية التي يمارسها في حق الفلسطينيين، الأمر الذي جعل العدو يتجه إلى استهداف الصحفيين وعائلاتهم، كما حدث مع الصحفي الفلسطيني ومراسل قناة الجزيرة القطرية "وائل الدحدوح" الذي ضرب لنا مثلاً في البطولة والانتصار للحقيقة فبصموده الأسطوري وهو يتلقى خبر استشهاد أفراد من عائلته (زوجته وابنه وابنته وحفيده وآخرهم نجله) قدّم للعالم نموذجاً حياً للإنسان الصابر الصادق المؤمن بعادلة قضيته فما خضع وما انكسر بل واصل مقاومته الإعلامية بكبرياء وشموخ منقطع النظير، جعل العالم بأسره يقف له وقفة إجلال وتقدير، وهنا يحضرني قوله وهو يكابر دموعه: >> إنها دموع إنسانية لا دموع جبن وانهييار... فليخسأ الاحتلال.<<

والشاعر الشعبي الجزائري كغيره من الشعراء قد أشادوا بصنيع الرجل، وأثنوا على تضحياته، ومنهم الشاعر " شويخ بوراس " الذي أجزل في وصفه بأنبل الصفات، فهو ابن غزة وأهل للنخوة والشهامة والطموح، وجبل لا يتزلزل ولا ينهار، حيث يقول:

مهما جار الظلم بيك وتعدى
دحـدوح
تبقى شامخ يا وائل يا
قطعو لك جناح في الغنا تهدي
مفـفوح
وأنت تبقى في السما طيفك
إعلامي وتخطى خطك بالسدى
مفتـفوح
الساكن في صفحتك يرجع
هذي غزة صانعة منك عدة
مبـبحوح
ما تهبط عينيه من بعد
ما يتكسر ذا الجبل ما يتصدى
الجـجروح
أهل النخوة والشهامة
راجل باين للعرب ناس الشدة
والطمـفوح
لا زوجة تطوي مقامك يا
لا حمزة يثنيك لابنتك وردة
دحـدوح
ذي فترة وتزول للتاريخ
صمدوا يا لبطل والجايح رضى
تبـبوح
واكتب يا فايز الدويري ذا المدة
كبر يا قسام واحفظها في اللـفوح⁷

⁷ - شويخ بوراس: وائل الدحود، موقع فرسان الملحون، 11 جانفي 2024م، زيارة يوم 12 جانفي 2024م.

لقد حقق وائل الدحدوح وزملاؤه تفوقا وانتصارا إعلاميا على العدو الغاشم، لا يقل أهمية عن انتصار المقاومة المسلحة، إذ استطاعوا أن يزعموا أركان الكيان الصهيوني، ويحركوا المشاعر الإنسانية بما بذلوه من جهد كبير في عرض المأساة شعبهم من جراء القصف الوحشي واللاإنساني الذي تشنه قوى الظلم والعدوان ليلا ونهارا، فأعادوا بذلك لمهنة الصحافة وظيفتها الحقيقية وهي الوقوف بشجاعة للدفاع عن الحق والقضايا الإنسانية العادلة.

3- خطاب المقاومة الشعبية:

صارت أرض غزة بصمود رجالها وثبات شبانها وصبر نساءها وشجاعة أطفالها محط أنظار العالم، لقد قدموا نموذجا إنسانيا فريدا في قوة الإيمان وحسن الأخلاق ورباطة الجأش، كل ذلك جعل العالم يقف لهم وقفة إجلال وإكبار وذهول وانددهاش في الوقت نفسه، وهناك الكثير من الأمثلة التي عجزت الصورة عن نقلها والكلمة عن التعبير عنها والعقل عن استيعابها، فهذه أم تفقد أبناءها الأربعة فتجلس أمام جثثهم وهي صابرة محتسبة راجية من الله أن يتقبلهم عنده من الشهداء ، وذلك أب يفقد كل أفراد عائلته فتراه راضيا بقضاء الله مرددا: "الحمد لله ، لله ما أعطى ولله ما أخذ، كلنا مشاريع شهداء "، وهاهو فتى في مقتبل العمر بُترت ساقه ولكن الابتسامة لم تفارق محياه ، وهو يقول: "الحمد لله على كل شيء"، وهذا طفل يرتل القرآن بين الحطام والركام ويتكلم بكلام يعجز عنه الكبار، وذلك طفل صغير يلقن أخاه الشهادة قبل الموت وجراحه تنزف، وغيرها من المشاهد التي تعكس إرادة الحياة والإصرار على الصمود والبقاء، وقد تفاعل الشعراء الشعبيون الجزائريون مع هذه المشاهد ومنهم الشاعر " عبد القادر بولبرعة " الذي صور لنا لحظة الوداع الأخير بين الجد الفلسطيني " خالد نبهان" وحفيدته " ريم روح الروح" ذات الثلاث سنوات في قصيدة بعنوان " هذي روح الروح" حيث يقول على لسانه:

روح الروح تحدثني واش صراك * حلي عينك في أبيك شوفي فيه
عيدي عني يالكبدة بخبارك * اقلبي راها النار تلهب فيه
ولا رحتي والأجل صفالك * خليتيلي غير القش نحضن فيه
رزين أنا وهبات على جالك * قلبي فظ نهار رحتي وخاليتيه
هذا أمر الله كي راد جرالـك * سعدك في الجنان صغرك فؤتيه⁸

لقد هزت صورة روح الروح وجدّها العالم وخلفت حزنا كبيرا في نفوس
الناس بما حملته من مشاعر القهر والأسى الممزوجة بالعطف والرحمة التي
أظهرها الجدّ الفلسطيني وهو يحضن حفيدته ويقبل وجنتيها وعينيها مستسلم لقضاء
الله وقدره، وما "روح الروح" إلا عينة واحدة من كثير من أطفال غزة الذين فقدوا
أرواحهم، فقدوا أطرافهم فقدوا ابتسامتهم وبراءتهم، قد يتحمل الإنسان الألم والوجع
ولكنه يقف عاجزا أمام دموع الأطفال وأنينهم وصرخاتهم، فليرحم الله أطفال غزة
وشهداءها وليفرغ على أحيائها الصبر والسلوان.

خاتمة:

إن الشعر الشعبي الجزائري كان سباق دوما إلى مساندة القضايا الإنسانية
العادلة، كيف لا وقد ولد من رحم الثورة التحريرية الكبرى التي تستمد اليوم
الشعوب المستضعفة منها قوتها وصمودها، ولنا في "طوفان الأقصى" خير مثال،
هذه الملحمة البطولية التي شكلت علامة فارقة في أحداث القرن الواحد والعشرين،
حيث استطاعت كسر جبروت وطغيان القوى الكبرى في العالم، وكشف مؤامراتهم،
وفضح همجيتهم وقيمهم الزائفة التي طالما تبجحوا بها، وبفضل غزة اليوم باتت
وصمة عار في جبينهم.

⁸ - عبد القادر بولريعة : روح الروح، موقع فرسان الملحون، 23 ديسمبر 2023م، زيارة يوم 27 ديسمبر 2023م.

وخير ما أختتم به مداخلتني ما قاله الدكتور "شوقي ضيف" في سبعينات القرن الماضي وهو يفتش عن البطولة العربية في كتابه " تاريخ البطولة العربية في الشعر العربي "، قوله: >> ولابد للذئاب من أن تنهزم، ولابد لليوث من أن تنتصر، ولابد للظلام الداجي من أن ينحسر ولابد للصباح المضيء من أن ينبثق وتعم أنواره<<⁹.

⁹ - شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص 7.